القسم الثاني
في الإطار التطبيقي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مفهوم الألوهية
في الديانات الكبرى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مفهوم الألوهية في الديانات الكبرى

لاشك أن الدين عند الله الإسلام، وعندما نطلق اسم الديانات على عدد من العقائد السماوية منها فإننا لا نقصد أن هذه العقائد تضاهي الدين الإسلامي بالمفهوم الخاص. إنما نقصد أن الأنبياء الذين ذكروا في التوراة والإنجيل والقرآن كانوا جميعاً على دين الإسلام، فالإسلام هو الدين الجامع لكل رسالات الأنبياء ولا ينحصر هذا الدين بأمة محمد ﷺ.

ولكننا وعلى جري العادة في تسمية بعض العقائد بالأديان فإننا نعترف أننا منساقون وراء مصطلح ـ مقارنة الأديان ـ الذي عُرف اليوم كعلم في شتى أرجاء الأرض مع احتفاظنا برؤيتنا الأولى القائلة بأن الدين عند الله الإسلام.

ولهذا جاء عنوان هذا الفصل على هذه الشاكلة كما سيأتي في اللاحق أكثر من عنوان بهذا المنحى. فنقول: مفهوم النبوة في الديانات الكبرى، ومفهوم الكتب المنزلة في الديانات الكبرى، وكذلك مفهوم اليوم الآخر في الديانات الكبرى، وعلى هذه الشاكلة فإننا سنطرح عدة عناوين حتى يتسنى للقارئ سهولة المعرفة والمقارنة بين العقائد الكبرى التي يطلق عليها علم مقارنة الأديان (الأديان).

مفهوم الألوهية

ومما لا ريب فيه أن مفهوم الألوهية تطور لدى بعض الشعوب من التجسيد والتجسيم إلى الرمز والتجريد. لكننا حين نواجه بالديانات الكبرى كاليهودية والنصرانية والزرادشتية والهندوسية والبوذية والإسلام نرى أن المسألة لا تخضع لمفهوم التطور من التجسيم إلى التجريد.

obeikandi.com

في العقائد السماوية تتضح صفات الله سبحانه متكاملة واضحة في الكتب التي نزلت على موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. لكن التأليف الذي حصل للتوراة والإنجيل انحرف عن المفاهيم الأولى التي أنزلت على عيسى وموسى عليهما السلام، لذلك سنرى تصاعداً في مفهوم الألوهية عند اليهود بدءاً من التجسيد والتجسيم والخصوصية إلى التجريد والاحتجاب والعالمية.

وسنرى كيف يؤله المسيحيون عيسى بن مريم ويصبح مع الإله جزءاً متحداً واحداً.

مفهوم الإله في التوراة

من ينظر إلى أسفار التوراة العبرانية يرى الذات الإلهية كمفهوم وحقيقة متطورة متغيرة متبدلة. وقد يستغرب المرء من هذا التغير وعدم الثبات لكن الدارس لتاريخ بني إسرائيل ولطبيعة الحياة الاجتماعية التي عاشوها عبر مئات السنين يدرك أنه ليس غريباً أن يجد هذا التنوع والتغير في مفهوم الألوهية لديهم.

يقول عباس العقاد: (كانت العقائد الإسرائيلية نقطة التحول. لأنها بدأت بتصور الإله على صورة إنسان يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه ويخص قبيلته وحدها بالبركة والتشريع، وقرنت هذه الصورة تارة بعبادة الأصنام وتارة بعبادة الموتى أو ظواهر الطبيعة وتماثيل الطواطم في الحيوانات والنبات ثم تطورت صفات الله في اعتقاد أبنائها من أعلى إلى أعلى حتى عبدوا الإله الأحد المنزه عن التجسيد وعن خلائق البشر، القادر على كل شيء والعليم بما كان ويكون والرحيم الذي يحب الرحماء والودعاء والعاملين بالبر والعدل والإحسان)[1].

لكننا نضيف على ما قاله العقاد بأن الإسرائيليين قبل النبي موسى عليه السلام لم يكن لديهم ما يتصورونه عن الذات الإلهية سوى ما تعلموه من المصريين، فمن المعروف أن بني إسرائيل مكثوا في مصر بعد النبي يوسف حوالي أربعمائة سنة لم تتحدث التوراة عنها في أي سفر من أسفارها.

(1) عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب، ص 116، دار المعارف بمصر 1964م.

فنهاية سفر التكوين تتحدث عن موت يوسف وبداية سفر الخروج تتحدث عن موسى، وما بين الاثنين مسافة أربعة قرون لا ندري ما الذي كان عليه فيها بنو إسرائيل.

والذي يدل على أن بني إسرائيل اتبعوا عقائد المصريين وعبدوا آلهتهم ما جاء في سفر الخروج والأسفار الثلاثة التي تليه، وهي اللاويين والعدد والتثنية. جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر).

وجاء فيه: (زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر)[1].

وعندما نراقب العلاقة بين الله سبحانه وبين النبي موسى عليه السلام نراها تنحصر بينه وبينه ولا يدري بنو إسرائيل سر هذه العلاقة وهذا يتضح من خلال صيغة الخطاب والجواب.

فنرى مثلاً. وقال الرب لموسى: اذهب اصعد من هنا/ خروج 33 ـ 1

ثم قال الرب لموسى: انحت لك لوحين من حجر، خروج 43/ 1

وقال الرب لموسى: اكتب لنفسك هذه الكلمات، خروج 34/ 27

وتتكرر جملة وكلم الرب موسى عشرات المرات بهذا السياق.

(1) سفر الخروج الإصحاح 32.

ومن ناحية ثانية: يرد قول التوراة: وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل، خروج 25/ 1 وتبدو العلاقة بين بني إسرائيل وبين فهمهم للذات الإلهية مشوشة غامضة وهي على هامش عقليتهم وهذا ما يتضح في عدد من أقوال التوراة مثال:

(وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر) خروج 16/ 2.

وجاء في سفر التثنية: لكنكم لم تشاؤوا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم وتمرمرتم في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدي الأموريين لكي يهلكنا) تثنية 1/ 26 ـ 27.

ويأتي في سفر التثنية: (فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته وقال أحجب وحيي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم).

إذاً فالمفهوم الإلهي لدى نبي مشوش أحياناً غامض. ولا ثقة لشعب إسرائيل بهذا الإله. وبمعنى من المعاني لم تترسخ فكرة التوحيد عندهم، ولهذا سنراهم يتقلبون من صورة إلهية إلى صورة أخرى.

تارة يجسدون الإله لأنهم في مصر لم يعرفوا مفهوم الإله المحتجب غير المحدود فهو يمشي أمامهم في النهار كعمود من سحاب وفي الليل كعمود من نار.

وتارة يريدونه إلهاً خاصاً بهم فيصفونه بأنه إله إسرائيل فحسب.

جاء في سفر الخروج: فسمع يثرون كاهن مديان حمو موسى كل ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبه.

وجاء في الخروج أيضاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور) 20/ 2 ـ 5.

وفي التجسيد يقول في الخروج: (فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى ويقوم كل الشعب يسجدون كل واحد في

باب خيمته ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه) خروج 33/ 10 ـ 11.

وجاء فيه: (منزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك) 34/ 5.

وجاء في سفر العدد: (فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة) 12/ 5.

وجاء في سفر يشوع: (حينئذ بنى يشوع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبل عيبال) 8/ 21.

وفي تطور آخر يصبح إله إسرائيل رب الجنود وهذا على ما يبدو ما اقتضته طبيعة الكتابة والتدوين عن الصراع الذي كان يجري بين بني إسرائيل وغيرهم من الأقوام الساكنة في أرض كنعان.

وفي آخر المطاف يدرك بعض أنبياء التوراة الذين عاصروا السبي البابلي أن الله ليس خاصاً ببني إسرائيل إنما هو إله لكل العالمين والناس وهو إله فيه صفات الرحمة والسلام والمحبة.

(وقد عبد بنو إسرائيل الإله باسم إيل أي القوي باللغة الآرامية ولكن الأسماء العبرية تدل على أنهم قد لبثوا زماناً يصفون الإيل بالصفات البشرية ويقبلون نسبة القرابة الإنسانية إليه كما في اسم عمائيل من العمومة أو إيل أب من الأبوة وغير ذلك من أواصر الأسرة البشرية.

وظلوا إلى ما بعد موسى عليه السلام ينسبون إلى الإله أعمال الإنسان وحركاته فذكروا أنه كان يتمشى في الجنة وأنه كان يصارع ويأكل ويشرب ويغش مركبات الجبال وأنه دفن موسى حينما مات في موآب).

ويلخص عمر لطفي النجار مظاهر الفهم للإله عند بني إسرائيل في عدة أمور أهمها:

1 ـ التجسيم بين الأرض وبين الرب. فالأرض الموعودة هي الأرض المقدسة لأن الرب يسكن فيها (فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان

وأنا لم أعلم وخاف وقال ما أرهب هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء) تكوين 38/ 16 ـ 17.

2 ـ ويسكن في جبل صهيون: ومن أجل أن يضمن الكهنة استمرار أرزاقهم وأقواتهم قالوا بأن الله يأكل ويشرب وإبراهيم يرى الله ورجلين معه فعرفهما وعرفه من بينهما. فصنع لهم الطعام فأكلوا. وبيت الرب هو بيت في الحقيقة أمرهم أن يبنوا له فيسكن في وسطهم وقد سئم العيش في السحاب والضباب. وفي سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل، أشعياء 6: 1.

3 ـ والله محارب عنيد يريد تحرير أرضه المسلوبة وهذا ما زعمه الكهنة فقالوا الرب رجل الحرب. وإذا ما قورن الرب بالملك في بعض الأحيان. فالملك القوي عند اليهود يُنعت بالألوهية.

4 ـ وقالوا إن الندم من صفات الله (ندمت على أني جعلت شاؤل ملكاً) صموئيل 15/ 11 وها هو يقول (فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة من أجل الكبرياء وتبكي عيني بكاء وتذرف الدموع لأنه قد سبي قطيع الرب) إرمياء 13: 17.

فالإلحاد عندهم يتمركز في جعل الأغراض والأحوال السياسية معياراً في صناعة الإيمان وبالمحصلة فإن العهد القديم حوى إلهين إله ينتمي إلى التوحيد والتنزيه (كما في أسفار الأنبياء المتأخرين وخاصة في السبي البابلي) وإله ينتمي إلى الأغراض والتجربة[1].

مفهوم الإله في الزرادشتية

من أهم أجزاء الأبستاق كتاب (الجاثا) ومعناها الغناء والإنشاد وهي أكثر الأجزاء قداسة في القصيدة الزرادشتية.

وتظهر صفات الله في سبع عشرة ترنيمة من هذه الجاثا.

---

(1) عمر لطفي النجار: العقل والإلحاد، مكتبة المبتدأ والخبر، دمشق 1997 ط 1.

والله عند زرادشت هو السيد المهيمن الحكيم أهـو رامـزدا خـالق الـسموات والأرض وهو الأول والآخر ومع ذلك فهـو الـصديق الـذي دعـاه في البدايـة ولا يمكن أن لله علاقة بالشر. فروحه المقدسـة هـي التـي تقـيم الحيـاة وتخلـق الرجـال والنساء وتعارضه الـروح الـشريرة أو القـوة المـدمرة التـي تتـسم بالنوايـا الـشريرة والتكبر والكذب. وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين فإن سلكوا طريق الشر فسوف تمتلئ حياتهم بالأفكـار الـشريرة والكلـمات الـشريرة والأعـمال الشريرة. وإن سلكوا طريق الحق فسوف يشاركون في العقل والخير ويبلغون الكمال والخلود والورع وملكوت السماوات وكلها جوانب من الطبيعة الإلهية[1].

والتعاليم الشفهية للزرادشتية تعلم الناس أن النسق والنظام والمبدأ والقاعدة وهو ما نراه في السموات والأرض تجعلنا نتعرف على الوجـود واللامتنـاهي للإلـه القادر على كل شيء كما تجعلنا نؤمن به، فالزرادشتيون يحبـون العـالم ويؤمنـون بـأن الحياة تعلمنا أن الله هو الموجود الأعظم والأفضل والأسـمى مـن حيـث الفـضيلة والاستقامة والخير[2].

وعندهم أن الـشر لا يمكـن أن يـأتي مـن الخـالق. فـالله لا يمكـن أن يكـون مسؤولاً عن الشر. بل الشيطان هو المسؤول عن كل الشرور.

والزرادشتية لا تجسم الإله ولا تجسده فلا تصنع له وثناً أو صنماً.

يقول العقاد: (أنه أنكر الوثنية وجعل الخير المحض من صـفات الله ونـزل بإله الشر إلى ما دون منزلة المساواة بينه وبين الإله الأعلى. وقال بأن خلق الـروح سابق لخلق الجسد وبشر بالثواب والعقاب. ويتضح أن زرادشت حـاول جهـده أن يقصر الربانية على إله واحد موصوف بأرفع ما يفهمه أبناء زمانه مـن صـفات التنزيه[3].

(1) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، عالم المعرفة 173 الكويت 1993 ص 118 ـ 119.

(2) و (3) عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب، ص 93، سبق ذكره.

وتقول الزرادشتية بأن لله صفات وأسماء، فالله واهب الأنعام، والمكين، والكامل، والقدس، والشريف والحكمة، والحكيم، والخبرة، والخبير، والغني والغنَى والسيد والمنعم والطيب، والقهار ومحق الحق والبصر، والشافي، والخلاق، والعليم بكل شيء.

أما بالنسبة للنار فهي أصفى وأطهر العناصر المخلوقة وليست هي الخلّاق المعبود، وترى الزرادشتية أن الله أودع الطبائع عوامل الخير جميعاً فإن هي جادت عن سواء السبيل كان إرسال الرسل للتذكير والتحذير آخر حجة لله على الناس. ورواية الخليقة في مذهب زرادشت أن الله خلق الدنيا في ستة أدوار فبدأ بخلق السماء ثم خلق الماء ثم خلق الأرض، ثم خلق النبات ثم خلق الحيوان ثم خلق الإنسان.

(ويخيل إلينا أن زرادشت كان خليقاً أن يسمو بعقيدة المجوس إلى مقام أعلى من ذلك المقام في التنزيه وأن يسقط بأهرمن (إله الشر) من منزلة الند إلى منزلة المارد المطرود لولا أن وجود أهرمن كان لازماً لبقاء الكهانة الفارسية في عهود المحن والهزائم التي مُنيت بها الدولة وتجرعت فيها الأمة غصص الذل والانكسار. فلو قال الموابذة للمؤمنين: بهرمز إنه هو الإله المنفرد في الكون بالتصريف والتقدير لكفروا بدينهم وحاروا في أمرهم ولكنهم يكبرون من قوة أهرمان ويجعلون انتصاره عقوبة للناس على تركهم للخيرات وحب الشهوات، ثم يبشرونهم بغلبة الإله الحكيم الرحيم بعد الهزيمة فتهدأ وساوسهم إلى حين)[1].

ونستخلص أن تعاليم زرادشت لم تبق على حالها، فمن جاء بعده من الكهنة صرفوا مسار عقيدته فأدخلوا فيها تطوراً واضحاً في قدسية النار، إضافة لما حوته معابدهم من خرافات وطقوس مخالفة لما جاء من تعاليم.

ويكفي هنا أن نقول: إن المقارنة بين الزرادشتية واليهودية تدلنا على أن اليهود جسدوا الإله وشخصوه وجعلوه إلهاً قومياً محدوداً، بينما لم نجد ذلك التجسيد والتجسيم في الزرادشتية.

---

(1) عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب، ص 94 ـ 95 سبق ذكره.

مفهوم الألوهية في البرهمية الهندية

لعل من أوسع العقائد وأكثرها تعدداً في الآلهة الديانة البرهمية الهندوسية لكنها في أحد جوانبها تركز على إله واحد هو إله خالق مدبر، ويطلقون عليه براهما يقول عباس العقاد: (لكنهم خلصوا كما خلص غيرهم من هذه العبادات إلى الإيمان بالإله الواحد وإن اختلفوا في المنهج الذي سلكوه، فلم يكن إيمانهم به على الأساس الذي قام عليه إيمان الشعوب الأخرى بالتوحيد.

وقد ذهب حكماؤهم إلى مذهبين غير متفقين، فبعضهم تمثل تلك الحقيقة إلهاً واحداً قريباً من الإله الواحد في أكثر ديانات التوحيد)[1].

ويتسمى الإله عندهم بثلاثة أسماء على حسب فعله في الوجود، فهو براهما حين يكون الموجد الخالق، وهو فشنو حين يكون الواقي الحافظ، وهو سيفا حين يكون المهلك الهادم. وهذه الثلاثية سنعود إليها في صفحات قادمة حين ندرس مسألة التثليث في بعض العقائد وكيف استفادت من بعضها بعضاً في ذلك.

وتداخلت الفلسفة بالعقيدة لدى البرهمية، ويدل على ذلك بعض الأناشيد الموجودة في كتبهم المقدسة:

جاء في إحداها: (حينذاك لم يكن ما وجد أو ما لم يوجد ولم يكن ما تثبته ولا ما تفنيه لا أجواء ولا سماء وراء الأجواء.

وماذا عساها تنطوي عليه؟ أين كانت وأين قرارها؟ أهي هاوية الماء التي ليس لها قرار؟ لم يكن موت فلم يكن خلود. لم يكن ما يموت فلم يكن ما ليس يموت. لم يكن ثمة نهار ولا ليل ولم يكن إلا الأحد يتنفس حيث لا أنفاس ولا شيء سواه. وكان البدء في الظلام. عليم بلا ضياء. ومن البذرة في تلك القشرة قام الأحد بحرارة الحياة. فانتصر الحب حين نبتت البذرة من لباب العقل السرمدي).

وقد برزت فكرة التوحيد عند الهندوس حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وقد وصل فكر الكهنة اليهود إلى إبراز هذه النتيجة التي تقرب من التوحيد أو تصل إليه

(1) عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب، ص 77.

فقد جمعوا الآلهة في إله واحد وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته وهو الذي يحفظه ثم يهلكه ويرده إليه[1].

وبراهما أو برهما اسم الله في اللغة السنسكريتية وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها. لا حدّ له وهو الأصل الأزلي المستقل الذي منه يستمد العالمُ وجوده.

وإضافة للنص الذي أوردناه فإن في أحد الكتب المسمى (قوانين منو) تفصيلات للحديث عن أساس الخلق، ويقول:

اقتضت حكمة برهما الذي لا يدركه إلا العقل أن يبرز من مادته المخلوقات المختلفة، فأوجد الماء أولاً ووضع فيه جرثومة فصارت الجرثومة بيضة لامعة لمعان الذهب، وعاشت داخلها الذات الصلبة على صورة برهما، وهو جدّ جميع الكائنات، فبعد أن لبث برهما في البيضة سنة برهمية وهي تعادل ملايين السنين البشرية قسم المولى بمحض إرادته هذه البيضة قسمين، وصنع منهما السماء والأرض والكائنات، وعين لكل كائن اسمه وخلق عدداً عديداً من الآلهة، وخلق طائفة من الجن غير مرئية، وخلق الزمان وأقسامه والكواكب والأنهار والبحار والجبال[2].

وأهم المبادئ التي تتصل بالعقيدة الهندوسية مبدأ وحدة الوجود: فكل المبادئ الهندوسية وثيقة الصلة ببعضها، وفي فلسفة الهندوسية المسماة (فيدانت) جاء أن هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي، وأن الشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق، وأن الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصيلة. وأن الجبال والأنهار تفجّرٌ من ذلك الروح المحيط الذي يستقر في سائر الأشياء، وهذا التفكير هو ما قاله سانكرا Sankara في القرن الثامن الميلادي إذ وضع فلسفة الهندوس في وحدة

(1) دكتور إبراهيم مدكور ودكتور يوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة ص 12.

(2) دائرة معارف القرن العشرين جـ 2 ص 157 ـ 158.

الوجود. وحاول أن يدلل على رفض الازدواج وعلى أن الروح الإنسانية هـي جزء من الروح العالية التي تعني براهما Brahaman[1].

وقد أوردت أناشيد الأوبانيشاء: إن جوهر النفس ليس هو الجسم ولا العقل ولا الذات الفردية، ولكنه الوجود العميق الصامت الذي لا صورة له، والكامن في دخيلة أنفسنا واسمه أتمان. أما جوهر العالم الواحد الشامل الذي لا هو بالـذكر ولا بالأنثى، أي روح العالم غير المشخص في صفاته والمحتـوي لكـل شيء والكـامن في كل شيء والذي لا تدركه الحواس فاسمه براهما وأتمان، وبراهما حقيقة الحقيقة.

الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، فمنذ خلق الله سبحانه أول نبي وانتهاءً بخاتم الأنبياء والرسل كان وما يزال مفهوم الألوهية واحداً.

فالله سبحانه هو الواحد الأحد، فهو ليس إله قبيلة ولا إله أمة واحدة ولا إله الناس وحدهم، بل هو إله كل شيء. فهو رب العالمين وكل شيء في الوجود مخلـوق له وخاضع لأمره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (آل عمران 129) ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الصافات 126) وكل مظاهر الكون صادرة عنه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد 2) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ (الفرقان 48).

وجعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام 59).

وصفات الله سبحانه لا تُعد ولا تحـصى، فهـو الخـالق وهـو المميـت، يرسـل الأنبياء ليبلغوا رسالاته، وينزل كتبه ليـسترشد النـاس بهـا، ويـوم القيامـة يحاسـب الناس على أعمالهم[2].

---

(1) أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، ص 73.

(2) د. عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام، 165 ـ 166.

وقد حدد القرآن الكريم مفهوم الربوبية بما أفاض به سبحانه وتعالى من آيات تحقق هذا المعنى على وجه صريح، لا يقبل الغموض أو الشك، فالربوبية تعني المالك والخالق والمدبر، والربوبية المقصودة في القرآن هي أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والمدبر والمتصرف ولا أحد سواه يتمتع بهذه الصفة، وعنها ينبثق معنى الوحدانية، فمن كان رباً كان واحداً، فالربوبية إذاً تعني انفراد الخالق وحده في الخلق ولا رب سواه[1].

وقد بين فلاسفة المسلمين خصائص الألوهية بالمنظور الفلسفي العقدي الإسلامي فقالوا: إن واجب الوجود غني عن كل ارتباط بغيره، فالله سبحانه غني عن العالمين إذ لو صح ارتباطه بغيره لزال بزوال هذا الارتباط.

وواجب الوجود لذاته بسيط ولا يمكن أن يكون جسماً، فلو كان جسماً لكان مركباً ولكانت له أجزاء تخرجه عن الكل ويكون مرتبطاً بها، والواجب هو كل ما كان وجوده لذاته. وقالوا الواجب الوجود لا يمكن أن يكون عرضاً، ولأنه انتفى أن يكون جسماً فهو لا يمكن أن يكون عرضاً لأن ما كان عرضاً يكون له لون أو شكل.

والواجب الوجود تنتفي عنه صفة التغيير، فالتغيير يفيد التبديل بالزيادة أو النقص سواء في جوهر الشيء أو عرضه، والواجب الوجود لا يكون قابلاً للقسمة، وهي تفيد أن واجب الوجود لا يقبل القسمة فليس له امتداد، لأنه لو قبل القسمة لتغير وجوده الأول وصار إلى وجودات متعددة وهي الأجزاء الحاصلة من القسمة فيكون قبولاً للعدم وهو محال، لهذا يستحيل فيه التعدد لأنه ينافي مفهوم الكلية.

والواجب الوجود قديم أزلي، إذ لو لم يكن كذلك لكان حادثاً، وما كان حادثاً يكون مسبوقاً بالعدم، وما كان مسبوقاً بعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود، فلو لم يكن الواجب الوجود قديماً لكان محتاجاً إلى موجد يوجده، أي أنه محتاج لغيره وهذا يتنافى مع الواجب الوجود لذاته[2].

---

(1) د. عبد السلام التونجي: العقيدة في القرآن، ص 184 ـ 185.

(2) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 17.

والواجب الوجود لا يطرأ عليه العدم، فلا يسوغ أن يجري عليه العدم إذ لو طرأ عليه العدم للزم سلب صفة الوجود لذاته عنه.

وقد رسخ القرآن الكريم مفاهيم الألوهية بشكل متكامل دقيق، ولو قارنا ذلك بما درجت عليه العقائد الكبرى مثل اليهودية والنصرانية والزرادشتية والهندوسية لوجدنا الفروق واضحة. ففيها التعدد وفيها التجسيد وفيها محدودية الإله واقتصاره على شعب دون شعب.

فالله سبحانه في العقيدة الإسلامية منزه عن التجسيد والتجسيم. وهو خالق كل شيء وهو إله للعالمين كافرهم ومؤمنهم، وطالما هو الخالق للكل فهو المدبر لخلقه واقتضاء العقيدة لصفات واجب الوجود تكمن في الحياة التي هي من كمال وجوده. وتكمن في العلم فالله هو الكاشف والمطلع والعالم بكل شيء. وتكمن أيضاً في الإرادة فهو القوة العقلية الدافعة أو المانعة فمن كان عالماً يكون من مستلزمات علمه أن يكون مريداً ويفعل حسب علمه وإرادته. وتكمن أيضاً في القدرة، ومقتضاها الإيجاد والإعدام وتقوم مع العلم والإرادة. وتكمن في الاختيار وهي مستلزمة بالضرورة بتحقق صفات العلم[1].

مفهوم التثليث في الألوهية

لا شك أن المسيحية بعد أن طُورت وأصبحت تعتقد بالتثليث لم تكن أول عقيدة تبنت التثليث. فقد وُجد هذا المفهوم في عقائد أخرى كالهندوسية وغيرها. والدارس لتاريخ العقائد يدرك أنه ما من عقيدة إلا وبدأت توحيدية، بمعنى أن مفهوم التثليث لم يكن موجوداً في أية عقيدة كبرى، والذي طور هذا المفهوم هم الكهنة والقيّمون على المعابد والمتفلسفون اللاهوتيون.

وقد درج أصحاب التثليث على القول بأن الله واحد في ثلاثة، فمنهم من جعل التثليث يلحق بالقدرة والأفعال، كالهندوسية، ومنهم من قال بأن الله له ثلاثة أقانيم فهو الله الآب والابن والروح القدس في العقيدة المسيحية.

---

(1) عبد السلام التونجي: العقيدة في القرآن الكريم 138 ـ 139 ـ 140 ـ 141.

وعندما نراجع تطور الفكر الديني المسيحي نجد أن فكرة التثليث طرأت على المسيحية بعد القرن الثالث الميلادي، وتحديداً بعد اعتناق الأمبراطور قسطنطين العقيدة المسيحية.

ويؤكد علماء تاريخ الأديان أن كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية لا تخلو من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي، أي الآب والابن والروح القدس ويقول العلامة دوان في كتابه سكان أوروبا الأول: كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم. ويقول: إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم[1].

وتقول التعاليم الهندوسية إن كلمة (تري مورتي) وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريتين أما الأولى (تري) معناها ثلاثة، ومورتي معناها هيئات أو أقانيم وهي براهما وفشنو وسيفا. ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة وهي الرب والمخلص وسيفا ومجموع هذه الأقانيم إله واحد.

ويقولون: لما أراد براهما خالق الوجود الذي لا شكل له ولا تؤثر فيه الصفات أن يخلق الخلق اتخذ صفة الفعل وصار شخصاً ذكراً وهو براهما الخالق، ثم زاد في العمل فانقلب إلى الصفة الثانية من الوجود فكان فشنو الحافظ، ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فكان سيفا المهلك. ويدعون هذه الصفات الثلاث أيضاً تري مورتي. أي الأقانيم الثلاثة[2].

وجاء في كتب البرهميين المقدسة المعتبرة لديهم أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهر والفعل والامتزاج ويوضحه بقولهم:

براهما الممثل لمبادئ التكوين والخلق ولا يزال خلاقاً إلهياً هو الآب.

---

(1) دوان: سكان أوروبا الأول، ص 366.

(2) محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص 32.

وفشنو يمثل مبادئ الحماية والحفظ وهو الابن المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية.

وسيفا المبدئ والمهلك والمبيد والمعيد. وهو (روح القدس) ويدعونه الرب المخلص كرشنا والروح العظيم حافظ العالم المنبثق، أي المتولد منه.

فشنو الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس.

وقد جاء في أحد كتبهم المقدسة ويدعى (الكبيتا) أن كرشنا قال: أنا رب المخلوقات جميعها أنا سر الألف والواو والميم (أوم) أنا براهما وفشنو وسيفا التي هي ثلاثة آلهة إله واحد.

ونجد عند البوذيين ثالوثاً مؤلفاً من تلك الآلهة الثلاثة، فيقولون إن بوذا إله وله أقانيم ثلاثة، يقول العلامة دوان: البوذيون هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يسمونه (فو) ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند ويقولون.. فو واحد لكنه في ثلاثة أشكال ويقول العلامة دوان: وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود تماماً وهم أورمزد، ومترات، وأهرمان. فالأول هو الخالق ومترات هو ابن الله وأهرمان هو المهلك.

وترد في بعض كتب الفرس أقوال منها: الثالوث اللاهوتي مضيء في العالم ورأس هذا الثالوث موناد. ويرى العلماء أن الإله ذا الثلاثة أقانيم وُجد لدى الفنلنديين والإسكندنافيين وسكان سيبرية القدماء وكذلك التتر الوثنيين. وكذلك وجد لدى المكسيكيين عبادة إله ذي ثلاثة أقانيم. وكذلك لدى الهنود الحمر سكان كندا الأصليين الذين كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ويصورونه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ويقولون إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة.

وأخيراً نصل إلى المسيحية التي نادت بالتثليث بعد القرن الثالث الميلادي متأثرة بالفلسفات والعقائد الأخرى كالأفلاطونية الجديدة وغيرها من الفلسفات اللاهوتية.

التثليث في المسيحية:

من المؤكد أن المسيحية لم تكن تعرف التثليث في عهودها الأولى، فالمسيح عليه السلام نادى بالتوحيد وظل تلاميذه الأوائل على نفس النهج إلى أن ظهرت الأناجيل بعد حوالي 70 ـ 113 سنة من رفع المسيح عليه السلام.

ولما كان كتبة الأناجيل لم يعيشوا مع المسيح فقد تناقضت كتاباتهم فيما بينهم عدا عن التناقض الذي حصل داخل كل إنجيل على حدة.

وظل الأمر مختلطاً على الذين اعتنقوا المسيحية، فمنهم من ألّه المسيح ومنهم من رفض هذا التأليه كمكاريوس وبعض الفرق الأخرى.

وما إن حلّ القرن الرابع حتى ظهرت المسيحية كما بشر بها بولس بشكل كبير في روما والأمبراطورية الرومانية. وتبنى قسطنطين هذه العقيدة بعد أن كان وثنياً وشهدت الإمبراطورية تحولاً في عقائدها من الوثنية المفرطة إلى وثنية منظمة ادّعت تارة أن المسيح هو الله وتارة أنه ابن الله.

وتطورت المسيحية الغربية تطوراً مذهلاً حتى بدت عقيدة أخرى تماماً مختلفة عن عقيدة المسيح عليه السلام.

ومن الواضح أن الكتابات التي دوّنت لهذا التحول تأثرت بشكل فاحش بالأساطير اليونانية والرومانية وكذلك بالعقائد الهندوسية والبوذية.

ودخل بولس المسيحية وكان عارفاً بالفلسفة الإغريقية التي تمثلها مدرسة الإسكندرية، ووجد بولس الميدان خالياً، واستخف الغرب بعض المسيحيين لأن بولس عدو المسيحية اللدود قد انتسب إليها وبدأ بولس يضع البذور التي نقل بها المسيحية من الوحدانية إلى التثليث. وقد ظهر ذلك في أعمال الرسل الإصحاح التاسع. ووافقت فكرة التثليث الجماهير. وكانت الجماهير قد نفرت من اليهودية لتعصبها ومن الوثنية لبدائيتها فوجدت في الدين الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألفوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم[1].

(1) د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان، المسيحية ص 138.

ويرى الباحث ليون جوتيه أن المسيحية تشربت كثيراً من الآراء الفلسفية اليونانية فاللاهوت المسيحي مقتبس من المعين الذي صبت فيه الأفلاطونية الحديثة لذا نجد بينهما مشابهات كثيرة[1].

وقد كان للاجتماعات التي عقدت بين كبار قساوسة المسيحية الغربية دور مهم وأساسي في تثبيت ما يسمى عقيدة التثليث ولتحديد شكل العقيدة المسيحية.

ولعل أهم تلك الاجتماعات ذلك الذي تم في (نيسيا) في آسيا الصغرى عام 325 أي في زمن قسطنطين، وصدر عنه ما يسمى بالعقد النيسياوي الديني الذي يعتبر حجر الأساس للعقيدة المسيحية.

وأول بنود ذلك العقد يقول: (إننا نؤمن بالإله الواحد ولكن في ثلاثة تواجدات، أولها: الآب القادر على كل شيء صانع السماوات والأرض وكل شيء ظاهر وغير ظاهر.

والبند الثاني يقول: إننا نؤمن بالسيد يسوع المسيح الابن الوحيد لله نَسِلَ من الآب قبل كل العالم إله من إله ونور من نور وإله حق من إله حق، نَسِلَ منه ولم يصنع بوجود واحد مع الآب ولأجلنا نحن البشر ولخلاصنا نزل من السماء وتناسخ في الروح القدس والعذراء مريم وأصبح إنساناً، وصلب من أجلنا تحت حكم بيلاطس البنطي وذاق الموت ودفن وفي اليوم الثالث قام مرة أخرى وصعد إلى السماء وجلس على يمين الآب وسوف يعود مرة أخرى بجلاله ليحكم بين الموتى والأحياء وإن مملكته ليس لها نهاية.

ثم يأتي البند الثالث ليقول: إننا نؤمن بالروح القدس مانح الحياة وسيدها والمستمر دائماً مع الآب والابن وهو معهم يعبد ويعظم وهو الذي تكلم من أفواه الأنبياء جميعاً.

---

(1) ليون جوتيه: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ص 93.

وبذلك يكون الآب هو الله الخالق والحافظ للوجود كله ويكون الابن هو الله المخلص للإنسانية، ويكون الروح القدس هو الله المتواجد دائماً في العالم وفي أنفس البشر جميعاً ومعه تأتي الحياة ومنه تأتي الهداية والنور[1].

وعندما يناقش الباحث المدقق أقوال المسيحيين في هذه الثلاثية يدرك أنهم لا يعرفون تماماً ماذا يقولون وماذا يقصدون. لذلك يلف الغموض كلامهم في التثليث وهذا الغموض يدل على أنهم نقلوا هذا التثليث عن غيرهم دون أن يفهموا ما هو ودون أن يعرفوا العلاقة الحقيقية بين الله والابن والروح القدس.

وإذا أجرينا مقارنة ما بين التثليث لدى البوذية والهندوسية والتثليث لدى المسيحية نرى بلا شك أن المسيحية أخذت عن تلك العقائد عقيدة التثليث وقد رأينا قبل صفحات وعند حديثنا عن الهندوسية والبوذية ذلك التثليث الذي يتطابق مع التثليث عند المسيحية.

فبراهما وفشنو وسيفا. تقابل الله والابن والروح القدس

والخصائص التي تخص الآلهة الثلاث عند الهندوسية هي الخصائص التي دوّنها المسيحيون عن الآب والابن والروح القدس.

ويرى الباحثون ـ ومنهم ول ديورانت ـ أن المسيحية انحدرت من أصول مختلفة ويصورون المسيحية ثوباً مهلهلاً تكوّن من مجموعة كبيرة من الرقاع جاءت كل رقعة منها من واد. فبعض المعتقدات انحدر من العقائد الوثنية، وبعضها من العقائد الفارسية، وبعضها من البوذية، وبعضها من الفلسفة الإغريقية، وبعضها من الخرافات التي يدين بها البدائيون[2].

إن التثليث فلسفة دينية لا تناسب البيئة الجغرافية والبيئة الدينية والاجتماعية للمنطقة العربية وخاصة منطقة المشرق العربي الذي انبثقت منه العقيدة التوحيدية

(1) د. عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان، ص 116 ـ 117.

(2) أحمد شلبي: مقارنة الأديان المسيحية، ص 178.

منذ زمن إبراهيم ومروراً بالأنبياء إسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وحتى أنبياء بني إسرائيل.

وقول بعض الباحثين إن التثليث الوثني وُجد لدى عرب الجاهلية من خلال وجود الصنم هبل وبجانبه اللات والعزى ليس دليلاً على التثليث، لأن كل قبيلة عربية ترى في صنمها أهم الأصنام. وهناك الكثير من أسماء الآلهة الموجودة لدى الجاهليين أمثال: سواع ونسر ويغوث وآساف ونائلة وغيرها من الأسماء. وحتى لو سلمنا أن هبل واللات والعزى تشكل هرم الوثنية الجاهلية فليس من رابط أسطوري بينها، وليس بينها علاقة أبوة أو بنوة في رموزها ومعانيها.

ونعتقد أن فلسفة التثليث الدينية هي فلسفة غربية مستفيدة من البوذية والبرهمية. وقد فرضت هذه العقيدة على أتباع المسيحية في المشرق فرضاً من قبل قسطنطين والرومان. ولو تُرك المسيحيون العرب القدامى يختاروا لاختاروا عقيدة التوحيد التي تناسب البيئة الدينية العربية.

اليوم الآخر في عقائد الشعوب

لاشك أن مسألة الخلق الإلهي تقابلها مسألة الموت والبعث واليوم الآخر وقد تفاوت مفهوم اليوم الآخر من عقيدة لأخرى. فمن العقائد من أنكر اليوم الآخر إنكاراً كلياً، ومنها ما كان مفهوم اليوم الآخر عندها ضبابياً، وقد يطلقون عليه اسم يوم الدينونة. وقد اختلط المفهوم بمفهوم الحساب والجزاء والعقاب. فتفاوتت الرؤية الدينية من عقيدة لأخرى.

وقد آثرنا تقديم هذا البحث على غيره من بحوث المقارنة كونه نتيجة لمفهوم الخلق. فكل مخلوق لابد من موته، والموت ليس نهاية المطاف، ولذلك كانت مسألة البعث واليوم الآخر والحساب.

وما بين الخلق والموت لابد من حديث حول المقارنة في مفهوم النبوة ومفهوم الكتب المقدسة.

وعندما ننظر إلى العقائد نظرة دقيقة نستطيع أن نرى أن بعض هذه العقائد وثنية، لكنها تطرح مفهوم اليوم الآخر بشكل من الأشكال، وهذا يعني أن العقائد السماوية ليست وحدها التي حوت مفهوم اليوم الآخر.

وبالتدقيق والمقارنة الدقيقة نرى أن القرآن الكريم طرح هذا المفهوم ودلل عليه بالحقائق من خلال آيات قرآنية كثيرة. فهو واضح كمفهومٍ وواضح كحقيقة لاشك فيه ولا ريب.

وأمامنا وبين أيدينا عدة عقائد ومنها وثنية نرى أنها تهتم بهذا المفهوم. لكن لتوضيح مسألة الطرح وكذلك الإيمان المطلوب من أتباع هذه العقائد لابد من العودة إلى نصوص هذه العقائد من كتب وأشعار وغيرها حتى نرى حقيقة المفهوم وفهمه وكيفية طرحه.

ويرى الباحثون وعلماء الآثار الذين حللوا اللغة المصرية القديمة أن الفراعنة عرفوا نوعاً من أنواع الفهم لما بعد الموت.

قام اعتقاد فرعوني على أساس فكرة تجدد الحياة في السماء على اعتبار أن الشمس بعد غروبها يمكن أن تشرق من جديد، وفضلاً عن ذلك فإن التجلي الخارجي للروح التي تسمى با Ba ـ كان يتضمن إمكان تحولها إلى أشكال كثيرة بحيث تستطيع أن تغادر قبرها وقتما تشاء.

واعتقد المصريون القدماء بأن كل إنسان بعد الموت سوف يواجه بميزان القلب أمام أوزريس والقضاة الاثنين والأربعين.

ويُظهر نقش أثري الميزان وقد وضع في إحدى كفتيه قلب الميت وفي الكفة الأخرى رمز للإلهة (ماعت) آلهة الحقيقة، فإذا استطاعت فضائله إحداث توازن مع كفة الحقيقة فسوف يصدر الحكم لصالحه بالسعادة الأبدية وإلا فهناك وحش يسمى مُلتهم الموتى يقف منتظراً القضاء على الشخص المدان[1].

(1) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص 58 ـ 59.

وتقول الأسطورة الفرعونية إنه كان ينبغي على كل ميت وهو يلج مملكة الموتى أن يعلن أنه طاهر مبرأ من كل إثم حتى يمكن أن يستقبله الإله العظيم سيد القضاة، وهو أشبه بإعلان المتهم الآن أمام المحكمة أنه غير مذنب حتى يمكن محاكمته[1].

وكانوا يطلقون على الحياة بعد الموت اسم دار الخلود، وغالباً ما كانت ترمز إلى القبر ولعل التحنيط الذي كان يلحق الميت ليس إلا دليلاً على اعتقادهم بأن هذا الجسد يجب أن يبقى ويبقى قلبه في جوفه دون أحشائه.

وتوجب الديانة الزرادشتية الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار على وجه لا يختلف كثيراً في جملته بل لا يختلف كثيراً في تفاصيله نفسها عما يقرره الإسلام.

تقرر عقائد الزرادشتية أن الساعة ستقوم على إثر حادث ملكي وذلك أن كوكباً يصطدم بالأرض فتميد بالناس وتخر الجبال هداً وتذوب العناصر ويصهر النحاس ويسيل إلى جهنم ويفنى (أهرمان) الشيطان وأنصاره من الشياطين ويغسل الناس في منصهر النحاس ويجده الصالحون برداً وسلاماً ثم بعد ذلك يجمع أهورا مازدا الخلائق ويمدهم بحياة جديدة ويجازيهم بأعمالهم. وهذا فيما يتعلق بمن يكونون على قيد الحياة وقت قيام الساعة. أما الذين ماتوا قبل ذلك فتحاسب أرواحهم عقب موتهم مباشرة. وذلك أن الروح تحوم عقب الوفاة فوق الجسد ثلاثة أيام تشقى فيها أو تنعم وفقاً لسيرة صاحبها في الحياة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وفي اليوم الرابع تهب من الجنون على الروح الصالحة ريح طيبة تتضوع بالمسك. وتلتقي روح الميت ـ عند أول الصراط (بل جنوات) أي جسر المفارقة المضروب فوق جهنم ـ بفتاة بيضاء الذراعين منقطعة النظير في جمالها فيسألها من أنت. فتقول أيها الشاب الطيب السريرة الطيب القول الطيب العمل أنا وجدانك وضميرك كنت محبوبة فزدت الناس محبة فيّ وكنت جميلة فزدتني جمالاً ورفعت من شأني بفكرك الصالح وقولك الطيب وعملك المبرور. ثم تمضي

(1) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، النص من تعليق المترجم د: إمام عبد الفتاح إمام.

الروح بإرشاد هذه الفتاة وهدايتها إلى حضرة أهورامزدا فتعبر الصراط إلى الجنة حيث يستقبلها ملك جالس على كرسي من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول لصاحبها ادخل سالماً آمناً وتمتع بحياة هنيئة. أما روح الشقي فتلتقي بمخلوق بشع المنظر نتن الرائحة. ولا تستطيع العبور على الصراط فتهوي في دركات النار. وفي جنة زرادشت لا ليل ولا برد ولا مرض"[1].

ويرى الزرادشتيون أن الروح بعد أن تعبر صراط الحساب تحتل إحدى منازل ثلاث: منزلة الأشقياء في جهنم دار الجحيم. ومنزلة السعداء في الجنة فردوس النعيم ومنزلة وسطى بين هؤلاء وهؤلاء. فمن ثقلت موازينه ورجحت حسناته سيئاته احتلت روحه المنزلة الثانية (الجنة) ومن خفت موازينه ورجحت سيئاته حسناته ذهبت روحه إلى المنزله الأولى (الجحيم) ومن تساوت حسناته وسيئاته احتلت روحه (المنزلة الثالثة)[2].

ويعتقد البرهميون الهنود في الجنة والنار ولكن في صورة تختلف اختلافاً كبيراً عن عقيدة المسلمين. ويشرح البيروني عقيدة البرهميين في الجنة والنار فيقول:

المجمع يسمى (لوك) والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وأسفل وواسطة. فيسمى العالم الأعلى (سفرلوك) وهو الجنة. والعالم الأسفل (ناكلوك) أي مجمع الحيّات وهو جهنم ويسمى أيضاً (نرلوك) وربما سموه باتال أي أسفل الأرضين. وأما الأوسط الذي نحن فيه فيسمى مادلوك أو مانش لوك أي مجمع الناس والأوسط للاكتساب والأعلى للثواب والأسفل للعقاب وفي هذين الأخيرين يُستوفَى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل. والكون في كل واحدة منها للروح مجردة عن البدن وتتم في ذلك العالم عملية التناسخ إما إلى جنس أعلى إذا كان حسناً وإما إلى جنس أقل إذا كان شريراً[3].

(1) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، د: علي عبد الواحد وافي ص 169.

(2) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، د: علي عبد الواحد وافي ص 170.

(3) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، د: علي عبد الواحد وافي، ص 187.

مفهوم اليوم الآخر لدى اليهودية

إذا نظرنا إلى العقيدة الزرادشتية وجدنا أن معالم اليوم الآخر في أسسها واضحةً. فهناك جنة ونار وحساب وهناك إله يحكم بين الناس.

وعندما نعود بالتاريخ إلى الوراء نرى أن الزرادشتية والبوذية ظهرتا في القرن السادس قبل الميلاد. ونشرتا عقيدتيهما على نطاق واسع من الأرض.

وإذا تذكرنا أن تدوين التوراة قد تم تقريباً في منتصف القرن السادس ميلادي أدركنا أن ثلاث عقائد ظهرت تقريباً مدونة في كتب في قرن واحد، وهذا ما يسهّل علينا عملية مقارنة هذه العقائد ببعضها بعضاً ويسهل بالتالي معرفة ما المؤثر وما المتأثر.

وعندما ننظر إلى عقيدة اليهود الخاصة باليوم الآخر نرى أن مصادر الحديث عنها تتعدد. فهناك التوراة المدوّنة في منتصف القرن السادس. وهناك القرآن الكريم الذي يوضح ما هي عقيدتهم بهذا اليوم الآخر.

وقبل البدء بدراسة هذا الجانب العقيدي لدى اليهود لابد أن نشير إلى أن بعض الفرق اليهودية لا تؤمن باليوم الآخر مطلقاً كفرقة الصدوقيين.

وتعتقد هذه الفرقة أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان في حياتهم وقد امتلأت صفحات التاريخ اليهودي في القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده بحوادث وخلافات بين الصدوقيين وغيرهم من الفرق اليهودية.

وقد حاولت هذه الفرقة استدراج السيد المسيح عليه السلام حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر وينضم إليهم ضد الفريسيين ولكنهم أخفقوا في ذلك. وقد جاء في إنجيل متى الإصحاح الثاني والعشرين: (أن الصدوقيين الذين ينكرون القيامة جاؤوا إلى المسيح قائلين له: يا معلم لقد قال موسى إذا مات أحد وليس له أولاد ذكور يتزوج أخوه امرأته لتلد ولداً ينسب إلى أخيه ويخلد ذكره فكان عندنا سبعة أخوة تزوج أولهم ومات بدون أن يولد له ولد ذكر فتزوج أخوه امرأته ولم تنجب ابناً وحدث مثل ذلك لجميع من بقي من الأخوة. فلأي أخ من هؤلاء

الأخوة تكون هذه المرأة يوم القيامة. فقال لهم يسوع: إنكم لتضلون وتجهلون أسفاركم وتشكون في قدرة الله. ألم تعلموا أن الناس في الدار الآخرة لا يزوجون ولا يتزوجون ويعيشون كما تعيش ملائكة الله في السماء).

أما بقية الفرق اليهودية فلها إيمانها الخاص المغلق باليوم الآخر. لكن النصوص التي ترد في التوراة تؤكد لنا غموض مفهوم اليوم الآخر، وهناك من النصوص ما يشير إلى الموت والعدم والتوقف عند ذلك دون الحديث عن اليوم الآخر يوم النشر والحساب والعقاب.

فينسبون للنبي داود قوله في سفر الجامعة: لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم حوت هذه كموت ذاك. فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما. سفر الجامعة 3: 19 ـ 20.

وينسبون له قوله: من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى الأسفل إلى الأرض؟

والغريب أنهم ينسبون للنبي أيوب كلاماً ينفي الإيمان باليوم الآخر.

فجاء في التوراة: (هذا يموت في عين كحاله كلّه مطمئن وساكن. أحواض مملوءة لبنا ومخ عظامه طري. وذلك يموت بنفس مرة ولم يذق خيراً كلاهما يضطجعان معاً في التراب والدود يغشاهما) أيوب 21: 22 ـ 23.

ويقول: (هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد ولا يرجع) أيوب 7: 9 ـ 10.

ويقول: (أما الرجل فيموت ويبلى. الإنسان يسلم الروح فأين هو؟ قد تنفد المياه من البحيرة والنهر ينشف ويجف. والإنسان يضطجع ولا يقوم ولا يستيقظون حتى لا تبقى السموات ولا ينتبهون من نومهم) 14: 10 ـ 12.

وتظهر بعض النصوص المتأخرة في سفر أشعيا وسفر دانيال تشير إلى مقابلة بين مصيرين يوم البعث.

يرد في إشعيا: (تحيا أمواتك. تقوم الجثث. استيقظوا ترنحوا يا سكان التراب) 26/ 19.

ويرد أيضاً: (وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي) دانيال 12 : 2.

وقد ورد في سفر الجامعة من التوارة ما نُسب إلى النبي داود ﷺ يشبه إلى حد بعيد في مضمونه مع ما جاء في بعض آيات القرآن الكريم التي تصف اليوم الآخر وقد جاء فيه: (فاذكر خالقك في أيام شبابك، قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور. قبل ما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر. في يوم يتزعزع فيه حفظة البيت وتتلوى رجال القوة وتبطل الطواحين لأنها قلت. وتظلم النواظر من الشبابيك وتغلق الأبواب في السوق. حين ينخفض صوت المطحنة ويقوم لصوت العصفور وتحط كل بنات الغناء. وأيضاً يخافون من العالي وفي الطريق أهوال. واللوز يزهر والجندب يستثقل والشهوة تبطل لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي. والنادبون يطوفون في السوق قبل ما ينفصم حبْل الفضة أو ينسحق كوز الذهب أو تنكسر الجرة على العين أو تنقصف البكرة عند البئر. فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها) جامعة 12 : 1 ـ 7.

فهذا المقطع الذي لا شبيه له في التوراة يتقاطع بشكل كبير مع ما ورد في القرآن الكريم وفي كثير من السور والآيات الكريمة بما يخص يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ (التكوير 1 ـ 4).

ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ (القيامة 7 ـ 10).

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ (الانفطار 4 ـ 5).

ويقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ (العاديات 9).

وهناك عشرات الآيات غير التي وردت تأتي في نفس السياق التفصيلي ليوم القيامة ومع تطور العقيدة اليهودية في زمن السبي البابلي نرى وضوحاً أكثر ليوم القيامة فإذا بأنبياء السبي يتحدثون عن هذا اليوم العظيم.

جاء في سفر إشعيا: (هوذا الرب يخلي الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها) 24: 1 ـ 2. ويقول: (ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة. والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ لأن ميازيب من العلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت. انسحقت الأرض انسحاقاً. تشققت الأرض تشققاً تزعزعت الأرض تزعزعاً ترنحت الأرض ترنحاً كالسكران وتولولت كالعرزال وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم) أشعيا 22: 18 ـ 20.

وقد توسع أحبار اليهود في الحديث عن النعيم والجحيم في كتاب التلمود. لكننا لا نعوّل عليه كونه كتاباً أُلف من قبل البشر.

ويختلط مفهوم اليوم الآخر عند اليهود بمفاهيم خاصة بهم. فيدّعون أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود وبقية الناس إلى الجحيم. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾(البقرة 111).

اليوم الآخر في العقيدة النصرانية

يطلق المسيحيون على يوم القيامة اسم يوم الدينونة. ومعناه يوم يدين المسيح الكفار ويفضح أعمالهم التي تودي بهم إلى الجحيم. أما المؤمنون حسب معتقداتهم فإنهم يدخلون النعيم.

ويربط المسيحيون يوم القيامة بقيامة المسيح حسبما يعتقدون وقد وردت قيامة المسيح في إنجيل متى الإصحاح 28 من 5 ـ 8 وجاءت أيضاً في إنجيل مرقص الإصحاح السادس عشر وفي إنجيل لوقا الإصحاح الرابع عشر وفي يوحنا في الإصحاح العشرين.

ويورد قاموس الكتاب المقدس تعريفاً ليوم القيامة إذ يقول:

لقد علم المسيح بوضوح بأن الموتى سيقومون ولقد نقض حجة الصدوقيين أنه بعد القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون وأنه لا يكون بعدها موت جسدي. وكثيراً ما نرى تعليم المسيح عن القيامة العامة مرتبطاً بتعليمه عن الدينونة النهائية. وقد علم الرسل أيضاً عن القيامة العامة التي يقوم فيها الأبرار والخطاة عند الدينونة الأخيرة.

ويصف الكتاب المقدس أجساد المؤمنين في القيامة بأنها تكون في (عدم فناء) وفي مجد وقوة وبأنها ستتغير إلى شبه جسد المسيح المجيد[1].

وقد جاء في التعليم المسيحي ذكر نزول المسيح إلى الجحيم وأنه في اليوم الثاني قام من بين الأموات. وقال كليموندس الإسكندري في أوائل الجيل الثالث بعد المسيح قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم كما بشر به وعلمه لأهل الأرض كي يؤمنوا به ويخلصوا أينما كانوا.

وقد ذكروا: نزول المسيح إلى الجحيم وذكروا الحديث الذي دار بينه وبين رئيس الشياطين.

لكن يبدو أن الغموض يلف مفهوم الجحيم في الأناجيل وفي العقيدة النصرانية بشكل عام.

ويتصور الفكر الديني أن المسيح يأتي يوم الدينونة ويبصره الناس آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد. إنجيل مرقص إصحاح 13 عدد 26.

اليوم الآخر في العقيدة الإسلامية

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم يحفل بمشاهد من الموت والبعث ويوم القيامة، وهي مشاهد كثيرة جداً خاصة المتعلق منها بيوم القيامة والحساب. ومن ثم الجحيم والنعيم.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 750 باب القاف.

obeikandl.com

فالموت حتمي. وكل إنسان ميت. والله سبحانه يحيي ويميت. ثم يبعث الناس جميعاً يوم الحساب. فمن كان مؤمناً فمصيره الجنة ومن كان كافراً فمصيره النار. وقد وصفت آيات القرآن الكريم مشاهد جمّة ليوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ٢ ﴾ (الحج 2).

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج 7).

ويقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ ﴾ (الزلزلة 1 ـ 6).

ويقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٥ ﴾ (الإنشقاق 1 ـ 5).

ويقول تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ٥ ﴾ (القارعة 1 ـ 5).

وكثيرة هي الآيات المشابهة التي تصف أهوال القيامة في القرآن الكريم.

ويوم القيامة يحشر الناس إلى رب العالمين ويُحاسبون فمن عمل خيراً فجزاؤه الجنة ومن عمل شراً فجزاؤه النار.

وهناك عشرات الآيات التي تصف النعيم والجحيم بما يقربها إلى العقل البشري واستيعابها في الحياة الدنيا قبل الموت.

وإذا قارنا بين الإسلام واليهودية والنصرانية بما يخص اليوم الآخر وجدنا الفارق الكبير بينها. ففي العقيدتين اليهودية والنصرانية غموض كبير حول هذا اليوم بينما هو واضح في القرآن الكريم بشكل جلي لا لبس فيه.

وإذا أردنا أن نجري التطبيقات فما علينا إلا أن نضع النصوص بمقابل بعضها لندرك كم هي الفروق بين الإسلام من جهة والعقائد الأخرى من جهة أخرى. وخاصة فيما يتعلق باليوم الآخر والجزاء والعقاب والجنة والجحيم.

obeikandl.com